

رابطة الأدب الإسلامي العالمية
مكتب البلاد العربية

نحو كوكب الحرية

رواية من الأدب الفارسي
فازت بالجائزة الثالثة في مسابقة الرابطة



محمود حكيمي

نقلها إلى العربية
عثمان أيزدبناه





رابطة الأدب الإسلامي العالمية
مكتب البلاد العربية
(٢٥)

نحو كوكب الحرية

رواية من الأدب الفارسي
فازت بالجائزة الثالثة في مسابقة الرابطة



محمود حكيمي

نقلها إلى العربية
عثمان أيزديناه



رابطةُ الأدب الإسلامي العالمية
مكتب البلاد العربية





نحو كوكب الحرية

رواية من الأدب الفارسي
فائزة بالجائزة الثالثة في مسابقة الرابطة.

تأليف

محمود حكيمي

نقله إلى العربية

عثمان أيزدپناه



ح مكتبـة العبيكان، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحكيمي، محمود

نحو كوكب الحرية./ محمود الحكيمي. ـ الرياض، ١٤٢٦هـ

٥٢ ص؛ ١٤×٢١ سم

ردمك: X ـ ٩٦٦ ـ ٤٠ ـ ٩٩٦٠

١ ـ القصص العربية – السعودية أ. العنوان

ديوي ٨١٣,٠٨٣٩٥٣١ ١٦٤٨ / ١٤٢٧

ردمك: X ـ ٩٦٦ ـ ٤٠ ـ ٩٩٦٠ رقم الإيداع: ١٦٤٨ / ١٤٢٧

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م

الناشـر



الرياض. العليا. تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

ص. ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

هاتف: ٤١٦٠٠١٨ – ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩


بسم الله الرحمن الرحيم

شخصيات الرواية

١- الدكتور «هاينريش باخ» عالم الأحياء.

٢- الدكتور«إدوارد داويس» الخبير الذرّي.

٣- «البروفيسور جنينغ» عالم النبات.

٤- المهندس «عبد المجيد سلمان» مراقب الأجهزة الإلكترونية.

٥- «روبنسون» العالم المتخصص في الأقمار الصناعية.

٦- الدكتور «إيساكو» العالم الفيزيائي الياباني.

٧- الدكتور «جانغيا» قائد السفينة «الصيني».

٨- الدكتور «أحمد يوسف» طبيب السفينة الخاص.

٩- أكثر من خمسين موظفاً وفنياً آخرين.



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وقعت أحداث هذه الرواية عام ٢٠٠٥ للميلاد في إحدى السفن الفضائية... في القرن الحادي والعشرين تقدّمَ الإنسان في المجالات العلميّة -بأسرها- تَقَدُّماً ملحوظاً.

وقد غيرَّت التقنيّةُ الحديثة للقرن الحادي والعشرين حياةَ البشر تغيراً كبيراً، لكن مع تلك الإنجازات الملموسة المدهشة، ما تزال المشكلات والأزمات الاجتماعية باقيةً في المجتمع البشري؛ وذلك لعدم وصول البشر إلى غاية واحدة.

في هذا العصر زادت الرِّحلات الفضائية زيادة ملحوظة حيث كانت تنطلق يوميّاً عشرات من السفن الكبيرة والصغيرة من المحطّات الفضائية الموجودة على الأرض نحوَ النجوم والكواكب الأُخرى.

وأصبحت الكائنات في النجوم والكواكب الأُخرى على اتصال دائم بأهل الأرض، ويتبادلون فيما بينهم ما تحقق لهم من إنجازات علمية... وقدأُقيمت في الفضاء محطَّات كثيرة لإصلاح السفن والأقمار الصناعية وتزويدها بالوقود... تدور أقمار صناعية كثيرة حول الأرض لتسهيل الاتصالات الفضائية، وأحياناً تُعقدُ ندواتٌ من قِبَل علماء الكواكب المتقدّمة لتبادل الآراء والمعلومات فيما بينهم في المجالات المختلفة. وللقارئ الحُكم على ما جاء في الرواية من الأحداث.

«محمود حكيمي»

في الثاني من يوليو عام ٢٠٠٥ للميلاد، انطلقت سفينتنا الفضائية من قاعدة «النّصر» بجزيرة «النّجاة» نحوَ كوكب «الحرِّيّة». كانت الغاية من هذه الرِّحلة هي البحثَ والتحقيق في مجالات العلوم المختلفة. كان هناك عشرة علماء في غرفة العلوم الخاصّة للسفينة، كلٌّ عكف على البحث والدراسة في فرعه الخاص فضلاً عن خمسين موظفاً وفنيّاً كانوا يقودون إدارة انطلاق السفينة وعودتها.

قبل عام عندما وُجِّه إليَّ الدعوة من قِبل «القاعدة الفضائية» للمشاركة في هذه الرحلة، لم أكن أتصوّر أن أُرافق هؤلاء الرجال الأذكياء.

كان الدكتور «هايتريش باخ» عالم الأحياء البارز، أكبر أعضاء الفريق العلمي للسفينة عُمراً - بينما تجوب السفينة أنحاءَ الفضاء كان مكبّاً على المطالعة. لأنَّ مهمتَّه كانت البحثَ عن تأثير بيئة الكوكب على الأنسجة والخلايا الحيوانية. وكان الدكتور «باخ» قد أتى بخمسة عشر كلباً من مختلف السلالات في غرفته الخاصة، لإنجاز بحوثه وإجراء الاختبارات عليها بعد الهبوط على كوكب الحريّة.

كان الدكتور «إدوارد داويس» الأصغر سناً من بين أعضاء الفريق العلمي للسفينة - هو بدوره يبحث عن تأثيرات «الإشعاعات الذّرّيّة للهيدروجين» على بيئة الكوكب.

وكان يُوافقنا في هذه الرحلة «البروفيسور جنينغ» عالم النبات الشهير وبصحبته مختبر مجهز تماماً لأغراض الدراسة على غرس النباتات الأرضيّة ونموّها على الكوكب، وفضلاً عن دراساته في علم النبات، كانت لَهُ يد طُولى في مجال تاريخ الأديان، بحيث يكثر من قراءة الكتب الدينيّة داخلَ السفينة.

ولا بدّ لي ها هنا من أن أعرِّف بنفسي؛ اسمي «عبد المجيد سلمان» عضو الفريق العلمي للسفينة.

كانت مهمتّي مراقبة الأجهزة الإلكترونية للسفينة واتصالاتها، كانت مهمتّي تلك بغير مبالغة أدقَّ وأعقدَ المهام التي يتولاها سائر أعضاء الفريق، ولعلّ مراقبة العشرات من أجهزة الحاسب الآلي والعديد من وحدات «الإنسان الآلي الإلكتروني» تبدو سهلة وبسيطة، لكن ليس الأمر كذلك: لأنّ تحليل اللاّفتات الأتوماتيكية وتلقّي كل الاتّصالات من الكواكب القريبة والبعيدة والاتّصال الدائم بالأرض لأصعبُ من أن يُتَصوَّر.

بَيدَ أنَّ ثلاثين شخصاً من العاملين على السفينة كانوا يساعدونني مباشرة.

لكنّ الأمر المهم الّذي كان واجباً عليَّ هو تسجيل جميع الدِّراسات والمطالعات على الأجهزة الإلكترونية وتسليمها إلى جامعة «أبي ذرٍّ» الإسلامية بعد عودة السفينة إلى الأرض».

والآن صدَّقوني أن الأمر لم يكن سهلاً وبسيطاً، من أجل ذلك كنت أغبط بقية أعضاء الفريق العلميِّ على ما يتمتعون به من راحة وهدوء بال..

بعد سبعين ساعة من إِقلاع السفينة وبينما كنتُ جالساً، أغفو على مقعدي المُريح، كنت أضع في أذنيَّ سمّاعة خاصة لأتلقى الأوامر على الفور في ظروف معينة من القاعدة الفضائية. كان النعاس يغالبني، وإذا بالسمّاعة تعلن عن تلقي نداء «بالشفرة» من كوكب بعيد جدّاً فدفعت رأسي عن الطّاولة سريعاً وشغَّلتُ جهاز تسجيل النداء.

تلقَّى الجهاز الإلكتروني -لتسجيل النداءات الرّمزية كلَّ النداءات، وسجلها على شريط رفيع مثقوب فوقه. وعندما حان الوقت لكي أضعَ الشريط في «الإنسان الآلي» ليُترجمه لنا، كان جميعُ الزملاء قد ناموا. في البداية قرّرتُ أن أضعَ الشريط الحاملَ للنداء الرّمزي بعد بضع ساعات في «الإنسان الآلي» لكي يطّلع زملائي العلماء على نصّ النداء. إلاّ أنّ الرغبة في الاطلاع على مضمون النداء ولا سيما أنها من ذلك الكوكب البعيد، لم تجعلني أهدأ لحظة. وأخيراً وضعت الشريط في «الإنسان الآلي». كان أسلوب عمل «الإنسان الآلي» أن يُترجم النداء على الفور إلى أيّة لغة نريد ثمَّ يقرأه بصوتٍ مرتفع.

بعدَ بُرهة من وضع الشريط الحامل للنداء في «الإنسان الآلي»، ضغطتُ على الزّر الخاص وبدأ «الإنسان الآلي» يتحدّث قائلاً:

«لقد وصل هذا النداءُ إلينا من كوكب «البدينغ».

وهذا الكوكب يبعد عنّا عشرة آلاف سنة ضوئية، وإليكم نصّ النّداء:

«لِينتبه ركّاب سفينةِ النور! هذا النداء يصلكم من كوكب «البدينغ»

وهو يُمثّل أنينَ الاسترحام والاستغاثة الصادر من عشرة ملايين هم سكان هذا الكوكب.

«يا أهل الأرض! إننا نمدّ إليكم يدنا طالبين العون في إنقاذ مجتمعاتنا من الدّمار الحتميّ. إن المعلومات التي تلقيناها من الأرض تفيد بأنكم أذكياء، ذوو خبرة واسعة، خاصّة وأنكم قد أحرزتم في هذين القرنين الأخرين تقدّما علمياً ملحوظاً.

إنّنا أرقى منكم من الناحية الصناعية والتّنمية بألفي عام، بيدَ أنّ هذه الإِنجازات لم تستطع أن تحقق لنا الفوز بالسّعادة والرضا. لقد شاع في كوكبنا القتلُ والنهبُ إلى حدٍّ بالغ. ولا تستطيع أجهزتنا الفضائية برغم ما لديها من قوّة جبّارة أن تفعل شيئاً ما في هذا المجال.

لقد تفشى الكذبُ والفساد، كما استشرت الرشوة، وزداد حب الناس للمال، ولم تستطع أجهزة «كشف الكذب» و«توارد الخواطر» الإلكترونية أن تحدَّ من عدد المجرمين، وما من أحد إلا ويسعى لخداع الآخرين بالدهاء والمكر والرياء والكذب.

قد تنتابكم الدهشة إذا علمتم أننا نتمنى العودة إلى «العصر الحجري» ولا نعيش هذه الحياة المرعبة المُفزِعة. إنّنا نرجوكم أن تبعثوا إلينا مجموعة من القوانين. ننتظر جوابكم. انتهى».

سكتَ المترجم الصناعي بعد قراءَة النداء، وبعد سماعي إياه أخذت أُحدّق فيه، وانتابتني الدهشة وتملكتني الحيرة.

بعد بضع دقائق أرسلتُ نداء إلى الكوكب بما يلي:

«هنا سفينة النّور، تسلَّمنا نداءَكم وسوف يُتَّخذ القرار اللازم بشأن طلبكم وتُرسل النتيجة. انتهى».

والحق أن ذلك النداء من كوكب يسبقنا تقنياً بألفي عام، قد أدهشني للغاية! كيف يمكن لساكني كوكب هم أرقى منّا إلى هذا الحدّ الكبير أن يطلبوا منا العون؟! وفضلاً عن ذلك فنحن أنفسنا على الأرض

كنا مُبتلين بمشاكل اجتماعية عديدة مازلنا نكابدها! فأنّى لنا أن نبادر بإنقاذ ساكني كوكب «البدينغ».

كان لا بدّ من طرح هذه القضايا كلِّها وتحليلها على المائدة المستديرة لعلماء السفينة.

قال الدكتور «هاينريش باخ»:

«أيها الزملاء! إن هذا النداء من كوكب «البدينغ» أمر عجيبٌ حقاً. ألا تظنّون أنهم ربما يمزحون معنا؟!»

بادر «روبنسون» العالم المتخصص في الأقمار الصناعية، بالحديث قبل الحاضرين قائلاً: «مزاح؟! هذا أمر مستحيل».

ابتسم «د. باخ» وقال:

«يبدو أنَّك لا تعرف. فقبل ثلاث سنوات أخذ صديقي «ريتشارد إسميت» يحدثني قائلاً: إنَّ أحد الكواكب أرسل نداءً إلى الأرض، وطلب معلوماتٍ حول أشِعَّتَيْ «الليرز ومايْزِر»، وأرسل العلماءُ المعلومات اللازمة إلى الكوكب فوراً، فاتّضح فيما بعد أنّ ساكني ذلك الكوكب كانوا قد اكتشفوا خواصَّ هاتين الأشعّتين منذ خمسة آلاف سنة، ولم يكن إرسال ذلك النداء إلى ساكني الأرض إلاّ مزاحاً».

حين سمع العلماء مقال «د. باخ»: استغرقوا في تفكير عميق.

وإذا بالبرفيسور جنينغ يرفع رأسه قائلاً:

«أنا أعتقد أنّ إرسال مجموعة من القوانين الاجتماعية لا يضرّنا شيئاً، ومع افتراض أنهم يمزحون معنا فلا بدّ أن نجيب طلبهم.

لعلَّهم خلافاً لتصوّر «د. باخ» لا يقصدون المزاح معنا. عندئذ يُحمَل عدمُ استجابتنا لطلبهم على اللاَّمبالاة».

قَبِل « د.إيساكو» الفيزيائي الياباني رأي «برفيسور جنينغ» وقال مؤيداً كلامه:

«نعم، لا بدّ من إرسال مجموعة من القوانين الاجتماعية إليهم، إلاّ أنَّ هناك مسألة مهمة وهي: أيُّ قانونٍ من القوانين يُرسل إليهم؟ إنّني أعتقد أنّ دستور بلادنا (اليابان)، أفضل وأكمل دستور لإدارة مجتمع من المجتمعات! أليس كذلك يا أصدقائي الأعزّاء؟!!».

لم يَرد أحد على سؤال «إيساكو».. قطّب الرجل الياباني جبينه وطأطأ رأسه.

مرّت بضع دقائق في صمت رهيب لم يجرؤ أحد أن ينطق بكلمة، خوفاً من أن يقابل اقتراحه بالاستهزاء والتهكم.

عندئذ خطر ببالي أن أقترح إرسال نسخة كاملة من «القرآن الكريم» إلى الكوكب بوصفه منهجاً كاملاً وشاملاً للحياة. لكن قبل أن أنبس ببنت شفةٍ، قال عالم النبات البارز «د. جنينغ» المسيحي المتعصب:

«لِنَدع دساتير البلاد ونغضَّ الطَّرف عنها. أرى أن يُرسل إليهم «الإنجيل» كقانون للحياة».

قهقه الدكتور «روبنسون» قائلاً:

«قلت الإنجيل؟! ذلك الكتاب الَّذي يتيح للمتجبرين أن يتسلطوا على رقاب المستضعفين؟ إنّني لن أوافق على هذا الاقتراح».

قطّب «د.جنينغ» جبينه وقال: «ليس كذلك أبداً. ما يزال الإنجيل يأمر النّاس أن يتحابوا».

قال «روبنسون» ساخراً:

«نعم، إنني أعلم ذلك جيداً، وهذه المحبَّة هي الَّتي جعلت الظالمين يتحكّمون في الناس، والحديث عن «المحبَّة» و«التسامح» في المجتمعات التي يُمَارس فيها الظالمون السّلطة، وتنهبُ القلّة القليلة من الأقوياء حقوق الغالبية المستضعفة، وهي ليس إلاّ جرعات مخدِّرة للضعفاء الذين أُهدرت حقوقهم، وانتُهِكت أَعراضهم، وسلبوا كل ما يملكون في حياتهم.

ففي المجتمع الذي يجب أن تشحن فيه قلوب البؤساء والمساكين غضباً وحقداً ضد ظالميهم وناهبي أموالهم لمقاومة هذا الظلم والتجبر، ليست الدعوة إلى المحبة فيه إلا مساعدة لهؤلاء الظلمة المتجبرين.

استمعوا إلى هذه العبارات من الإنجيل: «لتروا ماذا يقول: بولس الحواري في رسالته إلى أهل رومية ١٢-١٣ .

«لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة. لأنه ليس سلطان إلا من الله، والسلاطين الكائنة هي مرتَّبة من الله. حتى إن من يقاوم السلطان يقاوم تقدير الله».

إذا قاومت القوة فقد قاومت تقدير الله، ومن يقاوم يتحمل وبالَ مقاومته، ولا خوف على من يعمل عملاً صالحاً، ويؤاخذ من يرتكب السيئة فقط، فإذا أردت ألاّ تكون خائفاً من تلك القوة، فأحسنِ تحظَ بإشادته، لأنّه خادم مُحسنٌ لك من الله. وإن ارتكبت عملاً سيئاً فيجب عليك أن تخاف إذ لا يَسلّ السيف عبثاً وإنه خادم الله. لذلك يلزم أن يُخضع له. ليس بسبب الغضب فقط بل أيضاً بسبب الضمير.

«أن تُطبقه من طيب خاطرك وضميرك لا خوفاً من غضبه».

سكت «روبنسون» ولم يقل «د. جينيغ» شيئاً دفاعاً عن اقتراحه، وفي تلك اللَّحظة تغلَّبتُ على تردّدي وقلتُ:

«إنّني أقترح إرسالَ «القرآن» إليهم بوصفه قانوناً كاملاً وشاملاً»، بادرنا «د. روبنسون» هذه المرّة أيضاً قائلاً:

«في الحقيقة إنني أخالف إرسالَ أيّ كتاب دينيّ لأنَّني أعتقد...»

قاطعته قائلاً:

«هل قرأت القرآن من قبل؟

أجاب على الفور:

«لا، ياسيد عبد المجيد، أنا لم أقرأ القرآن، لكنيّ أعلم أنّ تعاليم الأديان كلَّها من أصل واحد، وهي تشتمل على التّسامح والمحبّة والإيثار والسكوت أمام الجور والطغيان، وما إلى ذلك من مبادئ الاستغلال

والعبودية في المجتمعات الطبقيّة، إنّ وجود قانون سماويّ، يسلب من المظلومين المقهورين قوَّة النضال والمقاومة بحيث يساقون كالنعاج دون أدنى مقاومة أو اعتراض، لَهُوَ أفضل عون لظالميهم المتجبرين عليهم.

قلتُ: إنَّني لأعجب من حكمك المسبق يا «روبنسون»! إنك تعترف بنفسك أنك لم تقرأ القرآن ولو مرة واحدة، فكيف تُندّد بتعاليمه هكذا؟

إنّ القرآن الكريم -خلافاً لزعمك- فضلاً عن دعوته واستنفاره للمظلومين لأن يجاهدوا للحُصُول على حقوقهم، يوجه دعوته أيضاً للمؤمنين للعمل والجهاد من أجل حقوق المستضعفين المسلوبة حيث يقول:

﴿ وإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[1].

إنّه لَعجيبٌ أن تزعم أن القرآن مع وجود مثل هذه الآية فيه يدافع عن الطغاة الذين اتخذوا البغي سبيلاً لهم.

وفضلاً عن وجود آيات كثيرة في هذا المجال فإن أئمة المسلمين يعتبرون الدفاع عن حقوق المستضعفين من أهم التكاليف الإسلامية.

فقد ورد في رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم ما معناه: «لو أن قرية أو مدينة فيها جائع واحد مسكين لا يستطيع أن يقوم على إطعام وسد رمقه من الفاقة فجميع أفرادها مسؤولون عنه، ويسألون عنه يوم القيامة».

---

(١) الحجرات: الآية-٩ .

فقال روبنسون الذي أصيب بالدهشة لكلامي:

«في هذه الحالة علينا أن نعرف رأي سائر الزملاء.

أثناء ذلك قال «د. داويس».

«أصدقائي الأعزّاء! ألا ترون أنه من الأفضل إرسال نص «إعلان حقوق الإنسان» إلى الكوكب بوصفه مختصراً وشاملاً لكل حقوق الإنسان بدلاً من إرسال نصٍ كامل لكتاب كبير كالقرآن الكريم أو الإنجيل؟!».

استرعى اقتراحُ «د. داويس» انتباه العلماء، ولخشيتي من أن يطغى رأيه هذا على ما قدمته من اقتراح قلتُ:

«إنَّ بنود «إعلان حقوق الإنسان» تشتمل فقط على بعض القوانين العامة التي تقف عاجزة أمام الحقوق الشاملة والعميقة المذكورة في القرآن الكريم.

فعلى سبيل المثال، إنّ «قضية العدالة» الَّتي تعرَّض لها «د. روبنسون»، يصرح بها القرآنُ. ضمن آية في سورة «الحديد»، مُبيناً الغاية مِن إرسال الرُّسل فيقول:

﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾(١).

---

(١) سورة الحديد: الآية: ٢٥ .

ولأنه ربما يكون جميع أفراد بني الإنسان ليسوا على علم بواجباتهم الحقيقة، ومن الممكن ألا يراعي بعضهم حقوق الآخرين فيجورون عليهم ويعملون فيهم البغي والعدوان. إذن ما الذي يمكن عمله في هذه الحالة؟.

﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ ﴾

هنا يجب التوسل بالقوة، لكن في أيّ وجهٍ؟.

هل تُستخدم القوَّة للقضاء على الروح الفعَّالة، وقمع الأبرياء، وتدمير كل نشاط نافع سليم؟ كلاَّ.

هل تُستخدم القوة للحصول على الامتيازات الشخصية، والتحكم المطلق في رقاب الآخرين ومقدراتهم؟! كَّلا.

إذن في أيّ وجه يجب استخدام القوّة؟

تُستخدم القوّة لإقرار العدالة الاجتماعية بكل ما للكلمة من معنى، عدالة اجتماعية عملية فعلية وليست شعارات دعائية.

وكما لاحظتم فإنه من بين الغايات النبيلة والأهداف السامية لبعثة الرسل في القرآن الكريم، هي إقرار الحق والعدل ودفع الظلم والطغيان. لقد جاء الدين من وجهة نظر القرآن لكي يحمل الناس على أن تقوم العدالة الشاملة بينهم بحيث تستوعب كلَّ طبقات النّاس. وليُعاقَبَ المعتدون على حقوق الأفراد والمجتمعات حتى لا يتجرأ أحد على أحد بالبغي والعدوان.

وعلى الناس أن يجتهدوا في سبيل تحقيق العدالة، ولا يرضوا إلا بحياة يملؤها العدل والمساواة، ليعيش الجميع إخوة متحابين، ولن يتحقق هذا الأمرُ إلاّ بتعاليم الأنبياء.

في هذه الآية الشريفة، يذكّرنا القرآن بأنَّ القوّة والسّلاح إنّما يُستخدمان ضدَّ كل من يسلب العدالة ويهضم حقوق الآخرين، ولن تستعمل القوة في الإسلام في أعمال إجرامية واضطهاد الناس وإرهاب الأبرياء العزَّل، أو في سلب حقوقهم ونهبها. وقد ذكَّرنا القرآن بأن الحديد يستخدم في توفير الوسائل اللازمة والنّافعة لشؤون الحياة.

يقول الله تبارك وتعالى: «لقد أرسلْنا رسلَنا بالبيِّنات» لماذا؟

﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾

ولكي تقوم حياة الناس كافة على أساس المساواة أمام القانون ويعمها التوازن الشامل.

بناءً على هذا، يكون الهدف من بعثة الرسل على ضوء القرآن الكريم، قيام النّاس بالقسط والعدل. بمعنى أن لكل فرد منهم الحق في أن يعيش ويتمتع بنعم الله وآلائه ولا يخشى في الحق لومة لائم.

سكتُّ بعد الإدلاء بهذه الكلمات، وعندئذ بادر قائد السفينة «د. جانغيا» الصيني الذي بدا كأنه قد تأثَّر بكلماتي إلى حدٍّ بعيد، فلم يكن في حدّ ذاته رجلاً متعصباً قائلاً:

«إن براهين السيِّد عبد المجيد منطقية تماماً، وعلى ما يبدو أن السيد «روبنسون» قد أدلى برأيه دون أن يقرأ كتاب المسلمين السماوي!.

فأردفت قائلاً:

«نعم وللأسف الشديد: إنّ غالبية آراء المثقفين والمستنيرين على هذا المنوال».

قال «د. جانغيا»: حسناً، كأنّنا قد نسينا أنه يجب علينا أن نتخذ قراراً بشأن إرسال قانون ومنهج شامل وكامل إلى كوكب «البدينغ».

بادئ ذي بدء أرى شخصياً أن نُرسلَ عدَّة قوانين من القرآن وإعلان حقوق الإنسان، ليتَّضح لنا أسلوب اختيارهم. والآن ماذا ترون إرساله أولاً؟».

بادر الدكتور «داويس» قائلاً:

«أرى أن يُرسل إليهم المادة الأولى من حقوق الإنسان، أولاً، وبعد ذلك يستطيع السيد عبد المجيد أن يُرسل ما يُريد».

عندئذ رأيت أنه ليس من المصلحة أن أضغط عليهم، فاستطردتُ قائلاً:

«أنا جاهز لإرسال أيّ شيء تريدون».

وافقت لجنة علماء السفينة بستة أصوات مقابل أربعة على أن ترسل المادة الأولى من «إعلان حقوق الإنسان» فوراً.

وأصبحت مهمّتي، أن أتَّصل بكوكب «البدينغ»، وبعد برهة أرسلت إليهم نداءً بما يلي: «لينتبه كوكب «البدينغ»؛ إننا نرسل إليكم قانونين حول منهج حياة الإنسان، ولكم الحرية في اختيار أحدهما. ولكم أن تقبلوا منهما ما ترونه صالحاً لمجتمعكم، ويسرنا أن تُطلعونا على اختياركم» انتهى.

بعد هذا النداء تم إرسال المادة الأولى من «إعلان حقوق الإنسان».

«المادّة الأولى: يُولَد جميع الناس أحراراً والكلّ سواسيّةٌ في الحقوق والواجبات، ولهم عقولٌ وضمائر، وليعامل بعضهم بعضاً بروح الأخوّة».

بعد بضع دقائق من إرسال هذا النداء، أرسلت نداءات أخرى بما يلي:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[١].

بعد إرسال هذين النداءين، كُلُّنا انتظرنا ردهم.

تبسمَّ «د. داويس» المتخصص في الإشعاعات الذرِّية، والمؤيد بشدة لإعلان حقوق الإنسان قائلاً:

«إن الأمر واضح كالشمس في رابعة النّهار بأنّ علماء الكوكب سوف يختارون المادة الأولى من «إعلان حقوق الإنسان» بوصفه قانوناً للحياة، لأن هذه المادّة مع وضوحها لا يُوجَدُ فيها أي نقص، أمّا القانون الّذي أرسله عبد المجيد، فقد تكوَّن من عبارتين غامضتين لا يمكن إدراك مغزاهما جيداً، بالإضافة إلى أن هاتين العبارتين لا يوجد بينهما أيَّة صلة أو رابط».

قال «البروفيسور جنينغ»: «في الواقع لا يحق لأحدٍ منّا أن يتسرع في رأيه، ولننتظر الرد من الكوكب».

بعد مضي ساعة وصل إلينا نداءٌ من الكوكب بما يلي:

«إننا نشكركم شكراً جزيلاً، لقد تدارس علماؤنا ونوابغنا نداءاتكم، واستنتجوا منها أن كلا القانونين جديران بالاهتمام والتطبيق للحفاظ على حُرِّية مخلوقات هذا الكوكب، أمّا الجملة الأخيرة من القانون الأوّل وهي «يجب أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الأخوّة»، فهي تخلو من هذا

(١) سورة الحجرات: الآية: ١٣ .

المعنى، لأنَّ التعامل الأخويَّ أمرٌ أخلاقي ولأن الأخلاقيات تفقد ضمان التنفيذ، على هذا لا محلَّ لكلمة «يجب» في هذا المقام.

أمّا القانون الثاني فهو خالٍ من أي عيب أو نقص، ولذلك فقد قرَّرنا أن نقبله؛ نحن في انتظار قوانينكم الأخرى» انتهى.

بعد أن قرأ الجهاز الإلكتروني نصَّ نداء الكوكب، ضغط «د. داويس» على أسنانه غضباً ولم يتلفظ بكلمة.

بعد ذلك تغيَّرت مكانتي لدى أصدقائي تماماً.

نظر إليَّ «د. جانغيا» قائد السفينة الصيّني نظرة إعجاب قائلاً:

«إننا قد جادلنا كثيراً في إرسال مجموعة من القوانين العابثة. في حين يقوم علماء الكوكب بدراسة القوانين المُرسلة بكل هذه الدقة، ويختارون من بينها أكمل القوانين وأتمَّها. فبدلاً من أن نخوض في هذه المشاحنات الكلامية، يحسنُ بنا أن نُرسل إليهم القوانين الثلاثة (الإنجيل، وإعلان حقوق الإنسان، والقرآن» دفعةً واحدةً، وأنا واثق بأن العلماء النابهين لكوكب «البدينغ» سيقومون بدارسة هذه القوانين الثلاثة، وسوف يبلغوننا نتيجة اختيارهم، فما هو رأيك؟».

أجبتُه قائلاً: أنا موافق تماماً.

«حسناً، وكم يستغرق من الوقت إرسالُ هذه القوانين الثلاثة؟».

«أعتقد أنّ إرسال كلّ عبارات القرآن، والإنجيل، وإعلان حقوق الإنسان لا يستغرق أكثر من ساعة. لقد ساهم التقدم في مجال

الإلكترونيات في حل جميع المشكلات. فيكفي أن نضع القوانين الثلاثة في جهاز الإرسال، فإذا الجهاز الإلكتروني للإرسال يترجم العبارات إلى لغة ساكني ذلك الكوكب ويُرسلها «مشفَّرة مرمزة».

توجه «د. جانغيا» إلى علماء السفينة قائلاً:

«أيها السادة، هل أنتم موافقون على اقتراحي؟».

قالوا بصوت مرتفع: نعم، هذا اقتراح جيِّد!؟».

بعد فترة، وضعتُ القوانين الثلاثة «القرآن، والإنجيل، وإعلان حقوق الإنسان» في جهاز الإرسال، وبينما لم أكن أستطيع الوقوف على قدميَّ من الانفعال الشديد، ضغطت على زر التشغيل وبدأ الجهاز يعمل.

* * * * * * * *

مَضَتِ ستّ ساعات على إرسال القوانين ولم يوافنا أيُّ رد من ساكني الكوكب، فذهَبَ كلّ زملائي العلماء إلى غُرَفهم ليستريحوا بعد أن أصابهم التعب، وذهبتُ أنا أيضاً إلى غرفتي، وبعد أن أديت الصلاة هناك، ارتميت بجسدي على السرير، وحاولتُ كثيراً أن أنام، لكنّ قلقي كان أشدّ من أن يعرف النوم طريقه إلى عينيَّ، وأخذت أسأل نفسي:

«ماذا ستكون النتيجة؟ كيف سيكون رد الكوكب؟ من يدري أنّ علماءَ الكوكب على الرغم من نبوغهم وذكائهم لن يُخطئوا؟ خاصة أنَّ كثيراً من الآيات القرآنية تحتاج إلى تفسير دقيق.

عندئذ عاد تفكيري إلى الوراء، وتذكرّت ما كان يحدث قبل سنين مضت، حينما كانت الغفلة قد تسلَّطت على المسلمين، وكان مُعظم الناس غارقين في الأوهام والعصبيات الجاهلية.

كان التفرّق والتّشرذم قد بَدّدا شَمْلَ الناس، وانقلبت كل المعاني الأصيلة للحرّيّة والمساواة والمروءة رأساً على عَقِب.

كنتُ أفكّر في ماضٍ غير بعيد.. تذكرّتُ أيّام طفولتي، عندما كانت الدّول الإسلاميّة أُلعوبةً بيَدِ الدُّول الاستعمارية الكبرى، وكانت الشركات الرأسمالية الكبرى تنهب كلَّ ما يملكه المستضعفون في العالم، وكان المسلمون قد ابتعدوا عن الأُخوّة والاّتحاد والصِّدق والتوحيد وتناحروا فيما بينهم:

تذكّرت أيّاماً سوداء كانت البلاد الإسلامية فيها تعج بخلافات وقتال بين الإخوة، الأمر الّذي لم يكن له أيُّ مبرِّر، وكلُّ شيءٍ كان على حافّة الهاوية من جرّاء مؤامرات الأعداء وانغماس بعض قادة الدُّوَل الإسلامية في الشهوات والرّذائل.

بعد ذلك، تذكّرت انتفاضة ذلك الرجل العظيم الَّذي نادى بضرورة «العودة إلى القرآن» لإنقاذ المجتمعات الإسلامية، وظل يؤكد على ذلك المشروع المُنقذ، الأمر الّذي أدى إلى يقظة الشباب من غفلتهم، بعد أن كانوا أُسارى في أيدي المحتالين ومؤامرات الأعداء منذ زمنٍ بعيد.

وقد نفخ عالِم الدين العظيم روحَ الحياة في أبدان الشباب الخامل؛ ونادى بصوته إلى التحرر من كل قيد وعبودية إلا لله، قائلاً:

«لا تقولُن لا نفهم القرآن أبداً، ولا تحسبُنَّ الخرافاتِ والأساطير أُسُساً لهذا الدين الحنيف، ولا تفرِّقُنَّ بين إخوانكم المسلمين أبداً.

كان قد ضاق ذرعاً بتقاعس المسلمين وحالهم المُزرية وعيشهم في الباطل، حتىّ أهاب بهم قائلاً:

أوقفوا آهاتكم الذليلة.. توقفوا عن النواح على ما فقدتموه.. أوقفوا كل ما من شأنه أن يخدر القلب والعقل، لأننا اليوم في عصر القوة، وإن لم تتحقق لكم القوة، فلن تنتصروا على أعدائكم».

كان يطلب من الشباب الذين انضموا إليه أن يعملوا على إعادة الجماهير الغفيرة إلى «القرآن الكريم ومفاهيمه الأصيلة» قائلاً:

«كونوا شجعاناً ومستبسلين، وتأكدوا من أن الذين كانوا يرتزقون من دماء المستضعفين لن يلتزموا الصمت أمامكم، بل سيُوجِّهون لكم التُّهَم ويتهمونكم بالكفر، لكنّكم لا تَيأَسوا أبداً، واعملوا على توعية النّاس وإِرشادهم، لأنّه لَيْسَ هناك سمٌّ أفتكُ من الجهل».

فبدلاً من أن تستخدموا ثرواتكم وطاقاتكم الاقتصادية الكبرى في مالا طائل منه، أنشئوا المدارس والجامعات الإسلامية، لتكون مفتوحة أمام الجميع؛ لأنّكم ما دُمتم لستم على وعي بعلوم عصركم وتقنيّاته فسوف تظلون عبيداً مضطهدين وعرضة للنهب حتى النخاع.

ووجه خطابه للمظلومين والمستضعفين صارخاً:

«أيّها المساكين والجياع، كونوا على يقين من أنكم لن تتحرّروا من الفقر والشقاء دون تحقيق العدالة الاجتماعية الشاملة، ولهذا جعل الأنبياءُ العدالة الاجتماعية نُصبَ أعينهم وضَّمنوها منهجهم القويم».

ها هو ذا القرآن يُنادي:

١- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾[1].

٢- ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾[2].

٣- ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾[3].

ها هو القرآن يُنْذِرُ بانهيار المجتمع الظالم وهلاكه قائلاً:

١- ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾[4].

٢- ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾[5].

٣- «﴿ إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾[6].

٤- ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾[7].

٥- ﴿ هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴾[8].

---

(١) سورة النساء: الآية: ١٣٥ .

(٢) سورة الأعراف: الآية: ٢٩ .

(٣) سورة النساء: الآية: ٥٨ .

(٤) سورة القصص: الآية: ٥٩ .

(٥) سورة إبراهيم: الآية ١٣ .

(٦) سورة العنكبوت: الآية: ٣١ .

(٧) سورة إبراهيم: الآية: ٤٢ .

(٨) سورة الأنعام: الآية: ٤٧ .

في نهاية المطاف، أدت جهود المجاهد الكبير ومُثابرتُه إلى نتائج مبهرة، حيث التفَّ حوله الشبابُ المخلصون، وَبَدَؤوا يبذلون محاولات جادَّة لإقامة مجتمع إسلاميّ مثاليّ.

في البداية كانت العوائق كثيرة والطريق وعراً، وكان مُعظم الكفّار والأعداء يستهزئون بكفاح الأمَّة الاسلامية كلّ الاستهزاء. لكنّ الشباب الذين جعلتهم روحُ الجهاد الإسلامي والآيات القرآنيةُ، فولاذاً صلباً، قاوموا مقاومةً شديدة وحطموا كل الأصنام والطواغيت السائدة في المجتمع الإسلاميّ واحداً تلو الآخر.

اتحدت جميع الفئات وتلاحمت فيما بينها لإِقامة مجتمع إسلامي جديد يجدر به أن يكون هادياً ومُصلحاً للعالم كُلِّه.

ترك الجماهير الخرافات والأوهام شيئاً فشيئاً وبدؤوا يلتزمون الأُصول والمبادئ الحقة، ويمزقون قيود الأسْرِ والمذلَّة، ويُحرّرون بلادَهم من القيود الاقتصادية والسياسية التي فرضتها الدُّوَل الغربيّة، ويستأصلون شأفة عبودية الإِنسان للإنسان في مجتمعهم الرّباني.

أُنشئت الجامعاتُ العلمية والصناعية الكبيرة، واستطاع المسلمون أن يتخلصوا من تخلُّفهم في وقت قصير بالتزام أصيلٍ للتعاليم الإسلامية الخالصة.

أصبح الناس الآن يسمعون كلّ يوم أنباءً جديدة عن الاختراعات الحديثة للطُّلاب المسلمين في جامعتَي «عمّار» و«أبي ذرٍّ»، وكما استطاع المسلمون في صدر الإسلام أن يتغلبوا بحضارتهم وثقافتهم على

حضارتي «الفرس والروم» بنوا هذه المرّة أيضاً بفضل الله تعالى واتّباع كتابه الكريم قفزة في التكامل والتقدّم أدهشت العالم جميعاً».

* * * * * * * * *

نِمْتُ ستَّ ساعاتٍ تقريباً، إذا بصوت «جانغيا» قائد السفينة يوقظني عَبر مكبر الصوت قائلاً:

«السيد عبد المجيد، يُرجى الحضور في غرفة قيادة السفينة على الفور، فقد حَدَث حادثٌ مُروِّعٌ».

انتصبت قائماً من السرير فوراً، هَيَّأت نفسي وذهبتُ مسرعاً إلى غرفة قيادة السفينة.

في تلك اللحظة كنت أظن أن الجواب قد وصل من كوكب «البدينغ» ويجب عليَّ أن أُترجمه بالجهاز الإلكتروني، ولكن عندما دخلت غرفةَ قيادة السفينة رأيتُ «جانغيا» وعدداً من الخبراء وهم شاحبو الوجوه، فنظرت إلى لَوحة الإِنذار في السفينة، كان هناك مصباحان مُضاءان في وسط اللَّوحة ينذران بقرب وقوع خطر كبير على السفينة وركّابها.

وما إن رأيت المصباحين المضاءين حتّى اتضح لي كلّ شيءٍ.

كان هناك «نَيْزَك» سماوي كبير يتّجه نحوَ السفينة، فأمر قائد السفينة بإضاءة شاشة الإرشاد.

أظهرت شاشة الإرشاد صورةً مروِّعةً لنيزكٍ سماويّ كبير يَتَّجه نحو السفينة بُسرعة فائقة.

قال «د. جنينغ» موجهاً خطابه في خوف لقائد السفينة:

«أتعتقد أنه ليس هناك طريق لإنقاذ السفينة من هذا الخطر الكبير؟».

أجاب «د. جانغيا» قائلاً:

«ربما كان الأمر كما تقول، نحن في ظروف لا يُمكن فيها التغيير الفجائي للمسير، وجميع الأجهزة الإلكترونية تتوقع اصطِدامَ السفينة مع نيزَك سماويّ كبير بعد عشر دقائق».

قال «د. داويس» وهو يرتجف خوفاً:

«أتقولون: إنّنا سوف نموت جميعاً بعد بضع دقائق؟!! آه يا للهول أرجوكم أن تفكِّروا في حيلة؛ من الأفضل أن نتصّل بالأرض فوراً لعلَّهم يقترحون طريقاً لخلاصنا».

فَرَكَ «د. جانغيا» يديه، وقال:

«اتصلت بالأرض، كان اقتراحهم لنا يتسم بالطيش؛ إنهم يقولون أن نُهدئَ سرعة السفينة إلى نصفها فوراً».

قاطع: «د. باخ» كلامَهُ قائلاً:

«فلماذا لا تفعلون ذلك؟».

«لأن هناك خطراً آخر وهو فقدان السفينة توازنها، ولأنَّ سرعتنا فائقة جداً، ولو أطلعنا قبل ساعتين على هذا النيزك السماوي، لما كان هناك خطرٌ على السفينة من تقليل سرعتها تدريجياً.

لكن في هذه الظروف الصّعبة فإن خطراً كبيراً يهدّدنا من جرّاءِ تهدئة سرعة السفينة فُجائياً، لدرجة يُمكن أن يُوثّر على أدمغتنا.

قال الدّكتور «باخ» وهو يَتَلعثم خوفاً:

«أرجو أن تُهدِّئوا سُرعة السفينة، وأظنّ أن بقيّة الركّاب يوافقونني على ذلك.

قال «د.جانغيا»: «حسناً؛ لكنّي لن أتحمل العواقب المترتبة على ذلك».

بعد ذلك هُدِّئت سُرعة السفينة فجائياً إلى نصفها بناءً على أمره.

اهتزّت السفينةُ هزّة شديدة، وارتمى كلٌّ واحد منا إلى جانبٍ من الغُرفة، والأمر الذي تسبب في حيرة شديدة هو إصابتي بدُوار وصداع شديدين، رغم أن اصطدامي بجدار السفينة لم يكن عنيفاً.

كان صداعي شديداً جدّاً؛ كأن رأسي قد جُعل بين شِقَّي الرَّحى، ثمَّ بدأت أفقد وعي تدريجياً.

* * * * * * * *

لستُ أدري كم استغرقت من وقت وأنا فاقد الوعي، لكني حينما أفقت، وجدتُ نفسي على أحد الأسرَّة الطبية في السفينة، ورأيت الدكتور «أحمد يوسف» الطبيب الخاص للسفينة واقفاً بجانبي.

ضحك الدكتور «يوسف» بعدما شاهدَ أنّي أفقتُ وقال: «في هذا الحادث، كانت إصابتك أخفَّ بين بقية الزُّملاء».

كنتُ لا أزال أُحسُّ بالدُّوار؛ فقلت له:

«وهل أصيب أحد من الأصدقاء إصابة شديدة؟

أجاب «د. أحمد يوسف» قائلاً:

«إن تهدئة سرعة السفينة، لم تُسبِّب صدمةً تُذكر؛ ولكن هذّه السفينة العنيفة في حركتها قد ألقتْ كلَّ راكب منا إلى جانبٍ؛ ويُصابُ الإنسان في مثل هذه الحالة بدُوار شديد ورُبَّما هذه التهدئة السريعة تُسبب في بعض الأحايين بعض التأثيرات على روح الإنسان ومخه، ولحُسن الحظّ لم يُصَب أحدٌ من ركاّب السفينة بمثل هذه الحالة؛ وقد عبر النيزك السماوي على بُعد حوالي أربعة آلاف متر من السفينة؛ وكان هذا أشبه بمعجزة، ولكني كنتُ قلقاً عليك فحسب: كنتُ أخاف أن تفقد إحساسك بعد إفاقتك وتُصاب بالجنون، لكن من حسن الحظِّ أنك لم تُصب بسوء، إلا أنّ كلاب «د. باخ» تسببت في متاعب كبيرة.

قاطعتُ كلامه في دهشة وسألته:

«ماذا قلت؟ كلاب «د. باخ»؟».

«نعم، كلاب «د. باخ»، إنّها فقدت هدوءها بعدَ انخفاض سرعة السفينة، وتحولت إلى كلاب مسعورة، شديدة الخطورة وبدأت تنبح».

بعدَ أن عبرتِ السفينةُ النَّيزك السماويَّ، ونَجَت من هذا الخطر الكبير، كان «د. جنينغ» لا يدري لماذا تنبح الكلاب، ففتح بابَ غرفتها الخاصة فإذا بالكلاب المسعورة تدخل غرفة قيادة السفينة، وتهجم على العلماء. في هذه الهجمة الفجائية، أُصيبَ عددٌ من الأصدقاء بجراح

شديدة وتمزَّقت ملابسهم، وأُصيبَ آخرون بصدمات خفيفة. ومن حُسن الحظّ استطاع «د. داويس» أن ينجو من هجوم الكلاب، وكان هو الذي أفقَدَ الكلابَ حركتها بنشر غازٍ مُنوِّمٍ وأنقذَ سائر الزملاء.

عندئذ سألتُ «أحمد يوسف» وأنا في شدة العجب من كلماته:

«كيف استطاع «د. داويس» أن ينجو من هجوم الكلاب؟» ضحك «أحمد يوسف» قائلاً:

«لعلَّك لا تدري بأنه متخصّص في التنويم المغناطيسي للحيوانات، وله خبرة سنوات عديدة في هذا المجال؛ إذ أوقف الكلبَ الّذي هجم عليه بتأثير التنويم المغناطيسي، وفتح صمام الغاز المنوِّم في غرفة قيادة السفينة على الفور».

سكتَ «أحمد يوسف» بُرهة ثمَّ استطرد قائلاً:

«يا د. عبد المجيد، الآن: وقد اطمأن قلبي على صحّتك، فاسمَحْ لي كي أزور سائر الأصدقاء».

ثمَّ خرج بعد ذلك من الغرفة بهدوء.

مرّ على هذه الأحداث سبعون ساعة، وكان جميع الزملاء قد استعادوا قوَّتَهم وتحسَّنت حالتهم، وأخذت السفينة تتّجه بُسرعة فائقة نحو كوكب «الحرّية» وما تزال الأنباء تصلنا من الأرض.

كان بين تلك الأنباء نبأٌ علميٌّ سارٌّ بالنسبة لي، حيث أعلن مذياع السفينة أنّ طالباً مسلماً بجامعة «أبي ذرٍّ» الإسلامية قد توصل إلى اكتشاف جديد حول أشعَّة «مايزر».

بعد سماع هذا النبأ جاء إليَّ «أحمد يوسف» طَبيب السفينة وقبَّلني فَرَحاً، وتحدَّث قائلاً:

«هل تسمع يا «عبد المجيد»؟! ما تزال الأنباء الجديدة تصلنا عن الإنجازات المبهرة لشباب المسلمين، فهل تتصور أن آباءنا قبلَ ثلاثين عاماً كانوا يتوقّعون مثل هذا التقدم العلمي؟».

أجبتهُ قائلاً:

«لو آمن المسلمون إيماناً صادقاً وخالصاً، لَتَقدَّموا أكثر من ذلك، أَلَم تقرأ القرآن حيث يقول:﴿ **وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾[1].

إن سبب تخلفنا في نصف القرن الماضي، يرجع إلى انبهار شبابنا «بأساليب الحياة الغربية» وتقليدهم إياها، الغرب الذي تصدَّع من الداخل، ووصل إلى طريق مسدود».

بعد فترة من الصّمت تابعت قائلاً:

«في الحقيقة لقد سرَّني النبأ الأخير جداً، لكنّي مُنزعجٌ من عدم تلقينا لأي رد من قِبَلِ عُلماءِ كوكب «البدينغ» عن القانون الذي اختاروه».

ابتسم أحمد يوسف قائلاً:

(١) سورة آل عمران: الآية: ١٣٩

«لا تنزعج، لأنّهم الآن مشغولون بدراسة دقيقة لمضمون القوانين».

مرّت خمسمئة ساعة أخرى على إرسال القوانين إلى كوكب «البدينغ»، في هذه الفترة كنت أنا والدكتور «داويس» ننتظر الرد في كل لحظة، وأخيراً انتهى انتظارنا، ووصلنا رد الكوكب، فناديتُ جميع العلماء فوراً. وبعد أن حضروا جميعاً، وضعتُ الشريط الحامل للرسالة المرمزة بعد استئذان الدكتور «جانغيا» في الإنسان الآلي» وضغطت على زر التشغيل؟ فبدأ الإنسان الآلي يقرأ نداء كوكب «البدينغ»:

«أصدقاءنا الأعزاء! أيها العلماء في سفينة النّور!.

نقدّم لكم أطيب تحية، وأخلص شكر، تمّت دراسة قوانينكم المرسلَة بعرضها على خبراء القانون. في البداية قمنا بدراسة «إعلان حقوق الإنسان» الذي يحتوي على ثلاثين مادّة؛ في الحقيقة وجدنا أنَّ كثيراً من هذه القوانين نافعة للحفاظ على حقوق الإنسان لكنّها عاجزةٌ كلّ العجز عن إدارة المجتمع، وحلِّ مشاكله المعقَّدة المتشابكة إضافة إلى ذلك، لو افترضنا أن هذه المجموعة من القوانين كافية فإنّها تفقد ضمان التنفيذ، وبدهي أنّ القانون الّذي لا يتمتّع بضمان التنفيذ فلا قيمةَ لَهُ، ولن يكون له أي اعتبار في أي مجتمع. فإذا رفضت حكومةٌ ما تنفيذَ هذه القوانين، وحاربت من يدافعون عنها، فإلى مَن يتظلّم الناس في هذا المجتمع، وإلى من يرفعون شكواهم؟!.

في الواقع يتعلّق تنفيذُ هذه الموادّ بالحكومة الدّاخليّةِ لأي مجتمع، ودراستها بمعزل عن قضية «الحاكمية» أمرٌ لا طائل من ورائه.

وفيما يتعلق بالقانون الثاني المسمَّى «الإنجيل»، بادئ ذي بدءٍ يجب أن نذكركم بأن قيام علماء سفينة النور بإرسال مثل هذا الكتاب باعتباره كتاباً سماويَّاً ومنهاجاً للحياة أدهش خبراء القانون في كوكبنا إلى حدٍ بالغ.

وقد كنّا نستبعد إرسال مثل هذا الكتاب، وكأن أصدقاءنا العلماء قد بادروا بإرساله دون أيّة دراسة عميقة أو بحث كافٍ! فمن خلال دراستنا للأناجيل الأربعة وجدنا بها تناقضات عجيبة، بل طفولية وبغض النظر عنها هناك عبارات في هذا الكتاب تُؤدّي إلى التناحر والاقتتال بين أفراد المجتمع، إذا ما نُشِرَ كقانون للحياة.

على سبيل المثال جاء في إنجيل «متى» باب ١٠ الآية ٣٤:

«لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض. ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً».

وقد ورد في إنجيل «لوقا» باب ١٣ الآية ٥١:

«أتظنون أني جئت لأعطي سلاماً على الأرض. كلاَّ، أقول لكم: بل انقساماً».

عندئذ لم يستطيع «د.جنينغ» الصمودَ أكثر من ذلك وقال منزعجاً:

«أرجوك يا عبد المجيد أن تُطفِئ الإنسان الآلي، حتى لا يقرأ ما تبقَّى من الرسالة».

فأطفأت «الإنسان الآلي» استجابة لرغبته.

احتَجَّ عددٌ من العلماء على ذلك، انتصب «د. جنينغ» من مقعده قائماً وقال:

«إنَّني لا أستطيع أن أسمع هذه الرسالة أكثر من ذلك، فهذه الرسالة في الحقيقة إهانة كبيرة للمسيحيين».

قال ذلك، ثمَّ خرج من الغرفة منزعجاً.

قهقه الدكتور «باخ» وقال:

«إن «د. جنينغ» متعصّبٌ للغاية، ولقد أحسنا التصرف بعدم إرسالنا نصَّ التوراة إلى كوكب «البدينغ» لأنّه في الواقع موسوعة التناقضات خاصة تلك العبارات الَّتي يحتويها والتي تمثل في الواقع أوامر بالقتل والذبح.

على سبيل المثال نقرأ في سفر التثنية، إصحاح ١٣ في الآيتين ١٥-١٦:

«فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف وتُحرِّمها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف. تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك فتكون تلاً إلى الأبد لا تبنى بعد».

ونقرأ في سفر التثنية، إصحاح ٢٠ من الآيتين ١٦-١٧ كما يلي:

«وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما. بل تُحرَّمها تحريماً الحثيين والآموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين».

عندئذ قال الدّكتور «داويس»: «أصدقائي الأعزاء، من الأفضل أن نستمع لما تبقَّى من الرسالة».

شغلتُ «الإنسان الآلي» مرّةً أخرى فأكمل قراءة الرسالة على النَّحو التّالي:

«في القانون الذي أرسلتموه لنا تحت عنوان «الإنجيل»، كنّا نَقف على كلمة «المحبة» جداً. لهذه الكلمة مظهرٌ أنيقٌ وجميلٌ، لكن الدعوة إليها في المجتمع الطبقيّ خطيرةٌ للغاية. ففي المجتمع الذي ينبغي أن يثور المحرومون فيه كالنمر الثائر، وينغصوا على الظالمين حياتهم، ليست الدَّعوة إلى المحبَّة وتلقينها إلا محاولة خادعة لتخدير المحرومين والمستضعفين.

منذ سنوات بعيدة، وضع خبراء القانون لدينا قوانين كثيرةً كان لها جمال صوري، وتدعو الناس إلى مراعاة القانون والتحابب والتآخي، لكن هذه القوانين لم تأت بأيّ جدوى؛ لأنَّ الطغاة والجبابرة رفضوا أن يتنازلوا عما بأيديهم من رفاهية ومصالح، ورغم ذلك كانوا يستخدمون هذه القوانين لصالحهم، لأنهم كانوا ينهبون أموال الضعفاء، ويستولون عليها بلا رحمة وحينما بدأ المحرومون يعملون على استعادة حقوقهم، أخذ الظّالمون يتحدّثون عن «الأُخوَّة» و«المحبّة» و«الإنسانية» وهذا يثبت أنَّ كلَّ هذه الدّعوات ينبغي الدعوة إليها فقط في مجتمع لا يسلب فيه الأقوياء حقوق الضعفاء.

«أمّا كتاب القانون الثالث، المسمّى «القرآن» فقد كان مدهشاً لنا حقّاً. فعندما قام علماؤُنا وخبراء القانون لدينا بدراسة هذا الكتاب أصابتهم الدّهشةُ، ونحن الآن نفكر ونسائل أنفسنا: كيف يُعاني أهل الأرض من مشكلات عديدة وهذا الكتاب بين أيديهم؟.

«ومما يسترعي الانتباه -في هذا الكتاب- توكيدهُ المستمر على تحرّر الإنسان من عبوديّة غير الله؛ وهناك أمرٌ بالغ الأهمية، وهو مطالبة هذا الكتاب من أفراد المجتمع بأن يفوِّضوا أمرَ «الحكومة» إلى من له الصلاحيةُ والجدارة حيث يقول:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾(١).

وهناك تأكيدات كثيرة فيه على أنه لا يمكن تطبيق أيٍّ قانون من القوانين، أو النظم الاجتماعية والأخلاقية في غياب «حكومة صالحة»(٢).

«بالإضافة إلى ذلك فإنّ دراسة سريعة لعدد من قوانين القرآن الاجتماعية، أوضحت لنا: أنّ هذه القوانين مترابطة بعضها ببعض كحلقات في سلسلة، وأنَّ تنفيذ كل واحد منها دون مراعاة للحلقات الأخرى من مجموعة قوانين الحياة هذه، لن تأتي بنتائج مفيدة، وهذا يمثِّل الدِّقة التّامة والمحاسبة الدقيقة الّتي روعيت في التخطيط لهذه القوانين ووضعها.

«يُقدِّم لكم علماءُ كوكب «البدينغ» وخبراء القانون فيه أعمق شكرهم لإرسالكم هذه المجموعة من القوانين القيِّمة» انتهى.

بعد أن أنهى «الإنسان الآلي» قراءة رسالة كوكب «البدينغ»، نظر إليَّ جميع علماء السفينة والدهشة تعتريهم. كان هذا شيء لا يمكن تصديقه بالنسبة لعدد منهم، فلم يكونوا على ثقة بأن يَقبلَ ساكنو كوكب «البدينغ» بهذه الصراحة القرآن بوصفه قانوناً ومنهاجاً لحياتهم.

---

(١) سورة النساء: الآية: ٥٨ .

(٢) لا شكَّ أنّ تطبيق القوانين الاسلامية وإقامة الحدود، هو شيء خاص بالمجتمع الإسلامي؛ وليس المجتمع الَّذي ينهب فيه الأقوياء والظلمةُ كل شيء بكل قساوة وفظاظة، والذين يقومون بدراسة القوانين الإسلامية بمعزل عن «قضية الحكومة» رُبماً يصلون إلى نتائج سلبية وناقصة.

كـان الفـرح والسـرور والزهـو بالنصـر قـد ملك عليّ كل جـوانـحي، لدرجة أني نسيتُ لفترة أين أنا؟ ففي الحقيقة كان من دواعي فخري أن يقبل علماء كوكب متقدم عنا علميّا وتقنيّاً بألفَي سنة، كتاب القرآن بوصفه هادياً وقائداً لمجتمعهم.

* * * * * * * *

بعد مضي ستٍ وثلاثين ساعة من وصول رد الكوكب، قام علماء الفريق العلمي للسفينة بعقد جلسة طارئة في قاعة المجلس.

في هذه الجلسة، ألقى الدكتور «هاينريش باخ» أستاذ علم الاجتماع بياناً مسهباً جاء فيه:

«أصدقائي! تقتربُ سفينتنا من هدفها شيئاً فشيئاً. وعَمّا قريب سنصل إلى كوكب «الحرِّية». ولقد توصلنا في هذه الرحلة إلى معلومات كثيرة، وقمنا بتجارب جديدة، لكن ليس هناك نجاح أعظم بالنسبة لي أن أتعرف على كتاب «القرآن».

وأرى نفسي في هذا النجاح مديناً للسّيد «عبد المجيد سلمان» العالم المتخصص في العلوم الإلكترونية وعلوم الكومبيوتر؛ لأنّي قبلَ هذه الرحلة كنت أعُدُّ «القرآن» في عِداد الكتب الموجودة المسمَّاة بالسَّماوية، ولم أكن أعيره أيَّ اهتمام، وربما بدا في نظري فاقداً لأي اعتبار أو قيمة، بيدَ أنّ رد الكوكب أوضح لنا مدى تفاهة وسفاهة أحكامنا المسبقة التي كانت دون أيّة دراسة.

أصدقائي العلماءَ! إنني أطلب منكم أن تكرمِّوا السيِّد «عبد المجيد سلمان» بمنحه وسام الشّرف الفضائي؛ وأن نخيِّره أيضاً في أن يطلب منا أي شيء يريده حتى ننفذه له إن كان ذلك في إمكاننا.

بعد إلقاء هذه الكلمة جلس الدكتور «هاينريش باخ» في مقعده.

تمت الموافقة على اقتراح «د. باخ» على الفور. وهذا يثبت أن رد الكوكب فيما يتعلق بالقرآن قد ترك تأثيره على جميع العلماء.

عندئذ انتصبتُ قائماً من مقعدي لأقدِّم لهم شكري قائلاً:

«أصدقائي المفكِّرين! من واجبي أن أشكركم على تكريكم لي، لقد طالبتموني بالإضافة إلى قبولي لوسام الشَّرف أن أتقدَّم بطَلب إلى الفريق العلمي.

ومن جانبي ليس لديّ أي طلب مادي، لكنني أكون في منتهى السعادة إذا ماتابعتم ما أقوله في تأمل واهتمام.

نحن الآن على وشك الاقتراب من كوكب «الحرّية»، وهو الهدف الذي انطلقنا صوبه من الأرض.

كان الفريق العلمي للسفينة قد وافق من قبل على، أن نرفع على الكوكب بعد النزول فوقه رايةً قد رُسِمَت عليها أعلام عشر دولٍ هي الدول الأعضاء في اللجنة العلمية للسفينة.

استمعوا يا أصدقائي الأعزاء؛ ألا تعتقدون أن القيامَ بتنفيذ مثل هذا القرار سوف يكون نوعاً من الأنانيّة والتباهي؟ هل نحن معتزلون عن البشرية؟ أليست العنصرية والقومية والتحزب بدورها نوعاً من الوثنية؟.

لقد صنعنا بأيدينا أصناماً كثيرة، كم من دماءٍ سفكناها لأجل هذه الأصنام على مدى التاريخ!!.

إنني أرجو الفريق العلميّ إذا كان يرغب في ذلك أن يُغيِّر هذا القرار، ويقومَ برفع عَلَم آخر، يكون مكتوباً عليه شعار حُرِّية الإنسان على الأرض وسكان جميع الكواكب الأخرى، والآن ونحن نطأ كوكب «الحرِّية» فلنذهب إلى هناك ومعنا شعار الحرِّية والتخلّص من كل أنواع الأصنام والأرباب الظالمين.

فلنجعل سكان الكواكب الأخرى يقولون:

إن أهل الأرض رفعوا راية واحدة فقط بدلاً من رفع رايات متعددة، حتى يأخذ عالم الوجود كله العبرة من ذلك وتَسودَ إدانة العبودية والخضوع لغير الله إلى أبدالآبدين.

إنّني أقترح أن نرفع رايةً خضراء يكتب عليها «لا إله إلا الله» على أعلى الجبال في كوكب «الحرية»! هذا هو اقتراحي الوحيد. فهل أنتم على استعداد لقبول مثل هذا الاقتراح؟

التزم جميع العلماء الصمت، ولم تأت أي إجابة على اقتراحي للحظات. عندئذٍ قام الدكتور «جانغيا» قائد السفينة قائلاً:

«من يعارض اقتراح المهندس «عبد المجيد سلمان»؟.

ثم جلس على مقعده.

عندئذ عبس «إيساكو» العالم الياباني بوجهه، وقام من مكانه، وقال بصوت، يتلعثم من الضيق:

«أنا أعارض هذا الاقتراح».

ثم سَكَتَ.

لم تدهشني معارضته، لأنّني على علم بأنَّ مُعظم اليابانيين وطنيِّون مسرفون في وطنيتهم، وسَيُغْضِبه كلامي عن إلغاء اقتراح رفع أعلام الدول المختلفة.

بعد فترة من الصمت استأنف «إيساكو» قائلاً:

«إن اقتراح المهندس «عبد المجيد سلمان» ينبع من تعصّب ديني، وأنا لست على استعداد لقبوله، فقد تكبدت مشاق هذه الرحلة ومتاعبها من أجل بلدي العزيز، ورفع رايته على كوكب الحرِّية»، فكيف أرضى بألا ترفع راية وطني العزيز «اليابان» على هذا الكوكب.

وجه جميع العلماء نظرهم إليَّ، فقد كانوا ينتظرون أن أرد عليه، فأجبت قائلاً: «على عكس ما يرى «د.إيساكو» فإن كلماتي لم تكن صادرة عن تعصب أعمى، إنّني أقول: يجب علينا أن نُنقذ البشرية من براثن مختلف الأصنام المفتعلة. والوطنيات المتطرفةُ أو العنصريات، كُلَّها أصنام صنعتها عقول البشر، إنّني أتحدَّث عن الإيمان أما «إيساكو» فيتحدث عن وطنه، فعندما قلت: يتحتَّم علينا أن نرفع راية «لا إله إلا الله» على أعلى قمة في كوكب «الحرِّية» كنت أقصد بذلك تأدية التحيّة لجميع الأنبياء والأحرار الشهداء الّذين لم يألوا جهداً لإنقاذ البشرية من براثن العبودية للأصنام الباطلة على مدى التاريخ.إن رفع راية «لا إله إلا الله» على كوكب «الحرِّية» صدىً هائلٌ لنداءات رُوَّاد التاريخ.

الذين نادوا في ظلمات الجهل والشرك والعبوديَّة لغير الله إلى تحرير الإنسان، فبلَّغوا آيات الله إلى النّاس، ومزقوا بندائهم التوحيدي قيودَ الأسر والتبعيّة.

إنّ رفع راية «لا إله إلا الله» تكريمٌ لجميع الشهداء «كعمارٍ» و«ياسر» و«سُميّة» و... الذين تحمّلوا صنوف العذاب في سبيل تحرير الإنسان من سيطرة السَّفاكين والفراعنة.

إنَّ رفع راية «التوحيد» هو تكريم لكل شعوب العالم المناضلة التي جاهدت وناضلت في سبيل حريتها، وروت شجرة الحرِّية بدماء شبابها، تكريم لشعب الجزائر المسلم أرض البطولة التي لن تنسى تضحيات رجالها.. تكريم لشعب فيتنام الذي تغلب على أعلى القوى التكنولوجية وأقوى آلة حربية في عصرنا.. تكريم لشعب فلسطين البطل الّذي سجَّل أروع البطولات التي لا مثيل لها في تاريخ البشرية.

لقد تجمعنا في هذه السفينة بوصفنا ذوي العقول المفكرة على الكرة الأرضية ولا يجوز أن تستحوذ العصبيات القوميَّةُ أو الوطنية المتطرِّفة أو العنصرية الزائفة على عقولنا وأفكارنا، فهل بعد هذا كلَّه لا تحظى كلماتي بقبول في رأي «د. ايساكو»؟».

في البداية لم يردَّ عليَّ «ايساكو»، وحدَّق النظر إلى نقطة ما، فأحسستُ أنَّ مشاعره الوطنيّة تغلي في جوفه، وأخيراً وبعد فترة من الصمت قال:

«أوافق على اقتراح السيد عبد المجيد».

ثمَّ جلس على مقعد، وقطراتُ العرق تنسابُ من جبينه.

وسأل الدكتور «جانغيا» مرَّةً أخرى:

«هل يُوجد معترض بعد هذا كلَّه؟»

لم يرد عليه أحد.

ابتسم القائد الصيني، ثمَّ قام من مقعده قائلاً:

«بناء على ما سمعتم يتم التصديق على اقتراح السيد المهندس «عبد المجيد سلمان» أنه بعد الهبوط على كوكب «الحرِّية» سيرفع راية خضراء مكتوب عليها «لا إله إلا الله» على أعلى قمَّة في الكوكب».

كانت السفينة تقترب من كوكب «الحرِّية» بسرعة فائقة. في تلك الأثناء أشارت حسابات الأجهزة الإلكترونية بأنه لم يبق إلاَّ خمسون ساعة لهبوطنا على الكوكب، وإذا بالقائد الصيني يستدعيني قائلاً:

«يا عبد المجيد! في الرَّحلات الفضائية عندما لا تبقى مدَّة زمنية طويلة على هبوط السفينة عادة ما نطلب من أحد الأصدقاء أن يُلقي محاضرةً علميَّةً في قاعة المؤتمرات الكبرى في السفينة. وهذه المرَّة خطر ببالي أن أطلب منك القيام بهذه المهمة، وسيحضر المؤتمر العلميَّ جميع العلماء العاملين على السفينة، وأراك أهلاً في إلقاء هذه المحاضرة العلمية».

كان لكلماته وقع طيب في نفسي بحيث عجزت لفترة عن الإجابة.

إنّني كنت أعلم أنّ المحاضرة العلميَّة ستُذاع عَبْرَ الإذاعات وشاشات التلفاز العالمية مباشرة، وكانت هذه فرصة طيبة لأُخاطب الناس في موضوعات عديدة، وفي النهاية قلتُ:

«إنني موافق تماماً على إلقاء هذه المحاضرة».

«حسناً، هل يمكنك أن تقول لنا ما هو عنوان محاضرتك حتى نعُلنَه؟» فقلت:

«أعلنوا أن عنوان المحاضرة هو «مدخل إلى عالَم القرآن العظيم»».

ابتسم القائد الصيني، وسَجَّل عنوان محاضرتي على ورقة.

* * * * * * * *

عندما وقفت خلفَ منصَّة الخطابة كنت أرتجف من شدة التأثر والسعادة. ومما يجدر الإشارة إليه أنه كان قد حضر آنذاك مما لا يقلّ عن سبعين شخصاً في قاعة المؤتمر، لكنّني كنت على علم بأنَّ ملايين من البشر يستمعون إليَّ في تلك اللحظة، ويشاهدون صورتي على شاشات التلفاز.

بعد فترة من الصمت وتبادل النظرات مع الحاضرين الذين تركزت أبصارهم إلى المنصة، بدأت أُلقي المحاضرة بصوت عالٍ.

بسم الله الرحمن الرحيم

زملائي الأعزاء! لا تظنُّوا أنّي أهَدِفُ إلى إقناعكم في محاولة يائسة بأنّ الاكتشافات العلميّة في القرنين الأخيرين قد وردت بحذافيرها في القرآن الكريم. كلاَّ إنني لا أقصد هذا أبداً. في الحقيقة إنَّني أعارض الذين يقارنون بين النظريات العلمية الحديثة والآيات القرآنية، لأنَّ كثيراً من هذه النظريات لا يصل إلى حدّ الجزم واليقين، وأن التوفيق والمقارنة بينها وبين الآيات القرآنية أمر لا طائل من ورائه.

ولكنني سأذكر بعض الآيات، ثُمَّ أطلب منكم أن تحكِّموا ضمائركم فيها.

أصدقائي الأحباء! إنَّكم على علم بأن «علم الفلك البطليموسي» الذي ساد المعارف البشرية قرونا طويلةً، كان يقول بمركزية الأرض لهذا الكون، وأنها ساكنة وثابتة، كما يزعم أن الفلك يدور حول الأرض، وتحيطُ النجوم بعضها ببعضٍ كطبقات البصل.

كان هذا الموضوع في زعم الأوساط العلمية أمراً بدهياً، إلى أن قضى علم الفلك الحديث بالأدلة التجريبية والاختبارات العلمية على السيادة العلمية النظرية لبطليموس، وأثبت أنّ الأرض معلّقة في الفضاء الواسع، وليس لها مرتكز، ولها حركة خاصة بها أيضاً، وأنه لا يمسكها إلا قوة خفية عجيبة، عُبِّر عنها بقوَّة الجاذبية.

حقق العلماء بفضل علم الفلك الحديث سلسلة من الإنجازات العلمية، واستطاعوا أن يحسبوا قُطر الأرض ومسارها، وأثبتت الاكتشافات العلمية الحديثة الأخرى خطأ النظريات والفرضيات السابقة. ولننظر الآن ماذا يقول القرآن حول هذا الموضوع في نفس الوقت الذي سادت فيه نظريات علم الفلك البطليموسي عقول العلماء وقلوبهم جميعاً.

يقول القرآن الكريم:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾[1].

---

(١) سورة فاطر: الآية: ٤١ .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾[(١)].

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾[(٢)].

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾[(٣)].

ويمكن أن نستنتج من الآيات السابقة أنّ الأرض والسموات ليس لها عمد، وهي تقوم بأمر الله وكما يقول القرآن الكريم، يتم إمساكها «بغير عمد ترونها».

نقرأ في هذا الكتاب الكريم:

﴿ فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾[(٤)].

﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴾[(٥)].

﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾[(٦)].

وكأنّ الأمر واضح لا يحتاج إلى بيان، في أن الأرض إذا كانت ثابتة ومستوية فلن يكون لها إلاّ مشرق واحد، ومغرب واحد، وأنّ وجود المشارق والمغارب في الأرض، خاصةً في منطقة واحدة، لا يَتَّسق ألا مع كون الأرض كرويّة وحركاتها تدريجية.

---

(١) سورة الروم: الآية: ٢٥ .

(٢) سورة الرعد: الآية: ٢ .

(٣) سورة لقمان: الآية: ١٠ .

(٤) سورة المعارج: الآية: ٤٠ .

(٥) سورة الصافات: الآية: ٥

(٦) سورة الأعراف: الآية: ١٣٧ .

ويجب أن نسأل في إعجاب ودهشة.

من ذا الذي يفسر لنا هذا التعاقب الزمني للأرض واختلاف الليل والنهار وتعاقبهما في وادٍ غير ذي زرع، وبعيدٍ عن الحضارات والثقافات والعلوم، إلا وحيُ الله، حيث يقول:

﴿ **وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا** ﴾[1].

كلّنا يعلم أنّه لا يوجد أيُّ تناسب واتِّساق بين مدلولات آيات القرآن العميقة العلمية الدقيقة، وبين المجتمع القبلي المتخلف البعيد عن الحضارة والمدنية، وخاصة في أمة العرب التي كانت بمعزل عن أية مقومات حضارية، أَيُّ إعجاز أدل وأعظم من هذا الإعجاز؟!

أصدقائي الأعزاء: إنكم تمثلون العقول المفكرة على الكرة الأرضية، وقد جئتم من المجامع العلمية والجامعات المختلفة، واجتمعتم الآن في هذه السفينة: هل تدرون متى أَثْبَتَ علمُ الفلك اتّساع المجرّات في الكون كُلِّه؟!

كان ذلك في أوائل القرن العشرين عندما ثبت بالمشاهدات والحسابات الرياضّية أنّ العالم والمجّرات بأسرها ما تزال تُبسط وتتَّسع. تأمّلوا في هذه الآية:

﴿ **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ** ﴾[2].

---

(١) سورة النازعات: الآيات: ٣٠-٣٢ .

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٤٧ .

أصدقائي الأعزّاء! إنكم تلاحظون أنّني لا أتكلّم من منطق تعصب أعمى، فالاكتشافات العلمية لا يمكن إنكارها كما لا يُمكن تأويل الآيات القرآنية على وجه آخر.

إنّ كون (القرآن الكريم) كتاباً معجزاً، إلى درجة أنه تناول كلّ جوانب الحياة الإنسانية، ولا يوجد فيه أيّ موضوع يمكن أن يفقد قيمته واعتباره بمضيّ الزّمن وتعاقب الدّهور، لأن صاحب هذا الكتاب هو خالق الإنسان وحده وقد أوحى بهذا المنهج الشامل لحياة النّاس طبقاً لما فطرهم عليه، إلى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، لقد استخدم القرآن الكريم مصطلحاً معجزاً لتصوير الجبال منتهى الإعجاز، وآيات القرآن كلها كذلك.

يقول القرآن الكريم عن الجبال بأنَّها رواسي للأرض حتّى لا تميد بسكّانها.

﴿ **وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾[1].

﴿ **وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلاً لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ** ﴾[2].

﴿ **خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ** ﴾[3].

أصدقائي الأعزاء!

إنّ الإنسان المفكّر في القرن الواحد والعشرين لا يَسَعُهُ إلا أن يُذعن لهذا الكتاب المعجز؟ لقد ولت تلك الأيام الّتي كان يُمكن فيها خداع

(١) سورة النحل: الآية: ١٥ .
(٢) سورة الأنبياء: الآية: ٣١ .
(٣) سورة لقمان: الآية: ١٠ .

العامة وتزييف الحقائق؛ فاليوم يدرك الإنسان الواعي جيّداً أن الوسيلة الوحيدة لنجاة الإنسان ووضع أسس ثابتة لنظام كامل وشامل ومُنقذ، هو التخلص من أغلال الأسر والعبودية لغير الله؛ لأنّ الأسر في قيود الآخرين ليس إلا حرمان النفس من نعمة الحرِّية.

فلْنأبَ العبودية لغير الله.. والعبودية لأيّ نظام معادٍ للإنسانية، لأنّ العبودية لغير الله دون تحقيق الكمال، سواء كانت العبودية لشخص أو لمال، أو لجاه، أو لعرق، أو لأرض.

فلنحطم القيود كلها!!؛ ويتمثَّل هذا كلُّه في شعار عظيم أعلنه الإسلام منذ قرون، وهو شعار «لا إله إلا الله».

بعد إلقاء المحاضرة جلست على مقعدي، وصَفَّق لي العاملون على السفينة وعلماؤها، وعبّروا عن أحاسيسهم الطيبة تجاهي.

هبطت سفينتنا على كوكب «الحرّية» بهدوء، ورُفِعتُ راية «لا إله إلا الله» في أعلى قمّة في الكوكب، كما كنا قد قررنا من قبل، بينما كنتُ أتلو آيات من القرآن الكريم من خلال مكبر الصوت في السفينة في بث مباشر، إلى جميع القنوات الفضائية الموجهة على سكان الأرض ووافق رفع راية «لا إله إلا الله» قراءة هذه الآية:

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[1].

*****

تمت

(١) سورة آل عمران: الآية: ١٨ .


رابطة الأدب الإسلامي العالمية
مكتب البلاد العربية
٢٥
نحو كوكب الحرية
رواية من الأُدب الفارسي
فازت بالجائزة الثالثة في مسابقة الرابطة
محمود حكيمي
نقلها إلى العربية
عثمان أيزديناه
العبيكان
Obeikan
Publishers & Booksellers


6 281125 011421